

التعريف بالقصيدة

الدرس
9

أهداف الدرس

- ◀ أن أتعرف مميزات القصيدة وعلاقتها بكتاب التيسير .
- ◀ أن أدرك اسم القصيدة ووجه تسميتها .
- ◀ أن أقتدي بالعلماء في تواضعهم وتضرعهم إلى الله تعالى .

تمهيد

خصص الناظم رحمه الله حيزاً من هذه المقدمة للتعريف بقصيدته وبيان أصلها ووجه تسميتها ومميزاتها وهو موضوع هذا الدرس .

فما هو اسم القصيدة وأصلها؟ وما مميزاتها وكيف ينبغي أن يتلقاها قارئها؟

المتن

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

- 67- أَهَلَّتْ فَلَبَّتْهَا الْمَعَانِي لُبَابُهَا *** وَصُغْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذْباً مُسَلْسَلاً
- 68- وَفِي يُسْرِهَا **التَّيْسِيرُ** رُمْتُ اخْتِصَارَهُ *** فَأَجْنَتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلاً
- 69- وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ *** فَلَقْتُ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُفْضَلَ
- 70- وَسَمَّيْتُهَا **حِرْزَ الْأَمَانِي** تَيْمُنًا *** **وَوَجْهَ التَّهَانِي** فَاهْنِهِ مُتَقَبَّلًا
- 71- وَنَادَيْتُ **اللَّهُمَّ** يَا خَيْرَ سَامِعٍ *** أَعِزَّنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلًا وَمَفْعَلًا
- 72- إِلَيْكَ يَدِي مِنْكَ الْأَيَادِي تَمْدُّهَا *** أَجْرَنِي فَلَا أَجْرِي بِجَوْرِ فَأَخْطَلًا
- 73- أَمِينَ وَأَمْنًا لِلْأَمِينِ بِسِرِّهَا *** وَإِنْ عَثَرْتُ فَهُوَ الْأَمُونُ تَحْمَلًا
- 74- أَقُولُ لِحُرِّ وَالْمَرْوَةِ مَرْوُهَا *** لِإِخْوَتِهِ الْمِرْآةِ ذُو النُّورِ مَحَلًا

- 75- أَخِي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ *** يُنَادِي عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوقِ أَجْمَلًا
76- وَظَنَّ بِهِ خَيْرًا وَسَامِحَ نَسِيجَهُ *** بِالْأَغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلًا
77- وَسَلَّمْ لِإِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِصَابَةً *** وَالْآخَرَى اجْتِهَادًا رَامَ صَوْبًا فَأَمَحَلًا
78- وَإِنْ كَانَ خَرَقٌ فَادْرِكْهُ بِفَضْلَةٍ *** مِنَ الْحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مَقُولًا

الفهم

الشرح:

أَهَلَّتْ: الإهلال: رفع الصوت .

وَأَلْفَافُهَا: الألفاف: الأشجار الملتفة لكثرتها.

الْأَمِين: الموثوق به .

مَكْحَلًا: المكحل الميل الذي يُكْتَل به .

استخلاص المضامين:

◀ ما هو أصل قصيدة الشاطبية واسمها الكامل؟

◀ بم خاطب الإمام الشاطبي رحمه الله قارئ القصيدة؟

التحليل

اشتملت هذه الأبيات على ما يأتي:

أولاً: التعريف بالقصيدة وعلاقتها بكتاب التيسير

بعد ما تحدث الناظم رحمه الله في مطلع هذه القصيدة عن فضائل القرآن ، وما أكرم الله تعالى به قارئه من بشائر وصفات حميدة ، وبين اصطلاحه ومنهجه في استعمالها ، شرع في التعريف بالقصيدة والثناء عليها فقال:

أَهَلَّتْ فَلَبَّتْهَا الْمَعَانِي لُبَابُهَا *** وَصُغْتُ بِهَا مَا سَاغَ عَذْبًا مُسَلَّسًا

أي نادت صارخة بالمعاني، «فلبتها» أي: أجابتها بقولها: لبيك، أي: أقامت دائمة على الإجابة، من ألب بالمكان: أقام به، ولباب المعاني خالصها، «وَصُغْتُ» من الصياغة ويعبر بها

عن إتقان الشيء وإحكامه، و«ساع»: سهل، والعذب: الحلو، والمسلسل: السلس، يعني أنه نظم فيها اللفظ الحلو السلس الذي سهل على اللسان لتناسب مادته حال التذاذ السمع به لملاءمة الطبع.

وَفِي يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ *** فَأَجْنَتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مِنْهُ مُؤَمَّلًا

أي أنه لما قصد اختصار كتاب «التيسير» ونظم مسائله في هذه القصيدة استعان بالله تعالى، فحصل له فيها ما أمله من المنفعة للمسلمين، واختصار الشيء: جمع معانيه في أقل من ألفاظه، واستعار الجني للمعاني للطاقتها.

وَمُصَنَّفُ «التيسير» هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني رحمه الله، وأصله من قرطبة، وهو مقرئ محدث، توفي بدانية في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وكتاب «التيسير» من محفوظات الشاطبي قال: عرضته حفظاً عن ظهر قلب، وتلوت ما فيه على ابن هذيل بالأندلس.

وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ *** فَلَقَّتْ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تُفْضَلَ

أي: نشرت القصيدة فوائد زائدة على ما في كتاب «التيسير» من زيادة وجوه وإشارة إلى تعليل وغير ذلك، ومن جملة ذلك «باب مخارج الحروف»، ثم بعد هذا استحييت أن تفضل على كتاب «التيسير» استحياء الصغير من الكبير، وَلَقَّتْ أي: سترت، والذي سترت به وجهها هو الرمز.

وَسَمَّيْتُهَا حِرْزَ الْأَمَانِي تَيْمُنًا *** وَوَجْهَ التَّهَانِي فَاهْنَهُ مُتَقَبَّلًا

أخبر أنه سمى هذه القصيدة «حِرْزَ الْأَمَانِي وَوَجْهَ التَّهَانِي» وأخبر بهذه التسمية أيضاً أنه أودع فيها أمانِي طالبي هذا العلم، وأنها تقابلهم بوجه مرضي مهني بمقصودهم، و«تيمنا»: تبركا، ومعنى «فَاهْنَهُ مُتَقَبَّلًا»: أي: تهنأ بهذا الحرز في حال تقبلك وكن به متهنئاً.

وَنَادَيْتُ اللَّهْمَ يَا خَيْرَ سَامِعٍ *** أَعِذْنِي مِنَ التَّسْمِيعِ قَوْلًا وَمَفْعَلًا

«ناديت» أي: قلت، ومعنى «اللهم»: يا الله، الميم عوض عن حرف النداء وقطع همزته ضرورة، ثم كرر النداء بقوله: «يا خيرَ سامِعٍ أَعِذْنِي»، أي: اعصمني من التسميع أي: من السُّمعة «قَوْلًا وَمَفْعَلًا» أي: في قولي وفعلي.

إِلَيْكَ يَدِي مِنْكَ الْأَيَّادِي تَمُدُّهَا *** أَجِرْنِي فَلَا أَجْرِي بِجَوْرِ فَأُخْطَلَا

لما مد يده حال الدعاء قال: «إليك يدي» أي: إليك مددت يدي سائلا الإعازة من التسميع، والإجارة من الجور، وقوله: «منك الأيادي تمدها»، الأيادي: النعم، أي: هي الحاملة والمسهلة لي على مد يدي، «أجرني» أي: خلصني من الخطأ؛ فإنك إن أجرتني «فَلَا أَجْرِي بِجَوْرٍ» أي: فلا أفعله، والجور: الميل عن الحق، «فأخطلا» أي: فأقع في الخطل وهو الكلام الفاسد.

أَمِينٌ وَأَمْنًا لِلْأَمِينِ بِسِرِّهَا * وَإِنْ عَثَرْتُ فَهُوَ الْأَمُونُ تَحْمَلًا**

لما دعا أَمْنٌ على دعائه فقال: «أمين»، كأنه قال: اللهم استجب، وَهَبْ أَمْنًا لِلْأَمِينِ بِسِرِّهَا، أي: بخالصها، ومن أمانته اعترافه بما فيها من الفوائد.

وقوله: «وإن عثرت»، أصل العثار في المشي، ثم يستعمل في الكلام يقال: عثر في منطقة: إذا غلط، والعثرة: الزلة، وأضافها إلى القصيدة مجازا، وإنما يعني عثرة ناظمها فيها، والأمون: الناقة القوية، أي: يكون الناظر في هذه القصيدة قويا بمنزلة هذه الناقة في تحمل ما يراه من زلل أو خطأ فيقيم المعاذير.

ثانيا: تواضع الناظم رحمه الله

بعد التعريف بالقصيدة وأصلها وبيان بعض مميزاتها أتى الناظم رحمه الله بكلام شعر بأدب العلماء وتواضعهم، وتقديرهم لشأن العلم، موجهها في ثانيا ذلك نصائح لقارئ القصيدة فقال:

أَقُولُ لِحَرٍّ وَالْمَرْوَةِ مَرْوُهَا * لِإِخْوَتِهِ الْمِرْأَةِ ذُو النُّورِ مَحَلًّا**

أخبر أنه مخاطب للحر بما تضمنته الأبيات التي تلي هذا البيت، وأراد الحر الذي تقدم شرحه في قوله: «هو الحر»، فقال: «أقول لحر: ... أخي أيها المجتاز».

واعترض بين القول والمقول بقوله: «والمروءة مروءها»... إلى آخر البيت.

والمروءة: كمال المرء بالأخلاق الزكية، وهي مشتقة من لفظ «المرء»، كالإنسان من لفظ الإنسانية، وقوله: «مروءها» معناه رَجُلُهَا الذي قامت به المروءة.

وأشار بقوله: «وَالْمَرْوَةُ مَرْوُهَا *** لِإِخْوَتِهِ الْمِرْأَةِ ذُو النُّورِ» إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «الْمُؤْمِنُ مِرْأَةُ الْمُؤْمِنِ» [سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحيطة] وقوله: «إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْأَةُ أَخِيهِ، فَإِنْ رَأَى بِهِ أَدَى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ» [سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم].

أَخِي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ *** يُنَادِي عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوقِ أَجْمَلًا

هذا من المقول للحر ، نادى أخاه في الإسلام الذي جاز هذا النظم ببابه أي: مر به ، كني بذلك عن السماع به أو الوقوف عليه إنشادا أو في كتاب ، واستعار الكساد للخمول ، وكساد السلعة: ضد نفّاقها ، أي: إذا رأيت هذا النظم خاملا غير ملتفت إليه فأجمل أنت ، أي: انت بالقول الجميل فيه .

وظَنَّ بِهِ خَيْرًا وَسَامِحٌ نَسِجَهُ *** بِالْإِغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هَلْهَلًا

أي: ظن بالنظم خيرا؛ لأن ظن الخير بالشيء يوجب حسن الاعتذار عنه ، «وسامح» من المسامحة وهي ضد المشاحة ، و«نسيجه» يعني ناسجه ، أي: ناظمه ، «بالإغضاء» أي: بالتغافل ، «والحسنى» أي: بالطريقة الحسنى ، «وإن كان هلهلا» في نسيجه ، والهلهل الخفيف النسج .

وَسَلَّمَ لِإِحْدَى الْحُسْنَيْنِ: إِصَابَةٌ *** وَالْأُخْرَى اجْتِهَادٌ رَامَ صَوْبًا فَأَمَحَلًا

أي إذا اجتهد العالم فأصاب فله أجران أي: أجر اجتهداه وأجر إصابته ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، أي: أجر اجتهداه: أي: سلم لي حالي وأمسك عن لومي لحصول إحدى الحسنين لي ، ثم بينهما فقال «إصابة» أي: إحداها إصابة وهي التي يحصل بها الأجران للواحد ، «والأخرى اجتهد» لا يحصل معه الإصابة وهو الذي يحصل به الأجر الواحد .

أشار إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ طَلَبَ عِلْمًا فَادْرَكَهُ كَانَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ ، وَمَنْ لَمْ يُدْرِكْهُ كَانَ لَهُ كِفْلٌ مِنْ أَجْرٍ» [سنن البيهقي، كتاب آداب القاضي، باب اجتهد الحاكم فيما يسوغ فيه الاجتهاد وهو من أهل الاجتهاد] .

وعبر عن الخطأ بعد الاجتهاد بقوله: «رَامَ صَوْبًا فَأَمَحَلًا» ، ومعنى رام: حاول وطلب ، والصوب: نزول المطر ، والمحل: جفاف النبات لعدم المطر .

وقوله: «سَلَّمَ» معناه: وافق ، و«إصابة» بالرفع: الرواية ، ويجوز فيها الجر على البدل من إحدى الحسنين .

وَإِنْ كَانَ خَرَقٌ فَادْرَكَهُ بِفَضْلَةٍ *** مِنَ الْحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مَقُولًا

أي: وإن وقع في نسيجه خرق ، كنى بالخرق عن الخطأ ، رشح استعارة النسج والهلهل بالخرق للعيب . وقوله: «فَادْرَكَهُ» ، أي: فتدارك ذلك الخرق «بفضلة من الحلم»: أي: من الرفق ، والحلم

هنا: الصفح، وأصله تأخير المؤاخذه، «وليصلحه» أي: يزيل فسادَه «مَنْ جَادَ مَقُولًا» والمَقُول: اللسان، وهو بكسر الميم. وأذن الناظم رحمه الله في هذا البيت لمن وجد خطأ في نظمه وجاد مقوله أن يصلح ذلك الخطأ، وهذا تواضع منه.

التقويم

1. أبين من خلال النظم اسم قصيدة الشاطبية وأصلها.
2. أستخرج ما أشار إليه الناظم من مميزاتا عن كتاب «التيسير».
3. أستخلص من الأبيات ما يدل على تواضع الناظم رحمه الله.

الاستثمار

أرجع إلى كتب تراجم القراء وأقوم بالآتي:

1. أعرف بكتاب «التيسير» تعريفا شافيا، مبرزاً مكانته عند المغاربة.
2. أعرف بالإمام أبي عمرو الداني رحمه الله مبينا مكانته في علم القراءات.

الإعداد القبلي

– أحفظ متن الدرس القادم، وأستخرج منه أهم الأخلاق التي على حافظ القرآن التحلي بها.